
كرم صابر
يا قاتلي
شعر
كرم صابر
يا قاتلي
مدونة أبو عبدو
أبو عبدو البغل

يا قاتلي

شعر

كرم صابر

كرم صابر أديب مصري نشأ في مدينة الوراق وقت أن كانتقرية يعمل أهلها بالزراعة قبل أن يدمجها الزحف العمراني بالقاهرة .وبدأ العمل بالمحاماة عام1989

نشر العديد من الأعمال السردية منها :المتهم ..ابن الله..والضريح ..وفؤاد المدينة ..وطائر النسيان ..ومريم العذراء ..وكلاب السكك

كرم
صابر

ياقاتلي
شعر

الطبعة الأولي

رقم الإيداع
الترقيم الدولي

الناشر
الطاو
للنشر والتوزيع
شبرا الخيمة ..القاهرة
المدير المسئول
صبحي شحاتة

یا قاتلی

لم يكُنْ يدرِى أينَ ينامُ

كلٌّ ما عرِفَه أن هذِهِ الأرضَ

الطيبةَ

غرِقتْ فى الظلاِم

لا تعاتبينى فى الصباحِ

لا تعانقينى فى الليلِ

لا تجعلى خدى غلامًا

أو تفزعينى بالصُّراخِ

أطلِقينى

هدهدِينى

وعاتِبى قلبى الصغيرَ

دثّرينى

وانشُرِى فى روحى

لحنَ السلامِ

يخرُجُ للشارعِ

ينظُرُ يمينًا وشمالاً

ويبكِى

تنظرُ إليه العصافيرُ

تبحلقُ فيه الباصاتُ

يلملمُ أسفارَه

يتأملُ السماءَ

ويستكمِلُ سيرَهَ

غير عابِئٍ بالضياعِ

الدُّنيا تفِرُّ من بين أصابعى

وتهربُ إلى الحياةِ

عيونُ الربيعِ

تغتالنُى

وتلقِينى فى

الخَرابِ

أين أنا

ومن الذى يقفُ الآنَ

على هذه الربوةِ العاليةِ

ينتظرُ الغيومَ

يا متباعدةَ الركبتين

يا رمزَ الخصوبةِ

يا راغبةً فى النماء

وتزويدِ العالمِ

بالحبِّ

أحضرِى إلينا

وساعدِينا

كى نملأَ الأرضَ

بكاءً

هذه الدموعُ النازفةُ

والعيونُ الغارقةُ فى الأَسَى

لا تعرفُنى

تهربُ وتعودُ

وتجبرنى على ابتياعِ الحياةِ

حينما خرجُوا كبحرٍ غادرٍ

من جَوْفِى

لم أَكُنْ أدرِى

ماذا أفعلُ

كلُّ ما رغبتُ فيه

هو النجاةُ

راوغْتُ نَفُسِى

كى أبقيهم خَلْف ظلى

فصرخُوا

لأتوسلَ المارةَ

ألا يدسُوا

على عيونِهِم

توقفتُ

وانحنيتُ

على الأَرْضِ

لألملم بقاياهم

فهربُوا

حزانى

على وجُودِى

أَخَذوُنى من قَلْبِ النارِ

وفتلوا شَعْرِى

رمَونِى بجوارِ البِئْرِ

كى يلعقَ الذبابُ

أفخاذى

هتكُونى

ولم يراعوا حُرْمَةً

أو يهتموا كَوْنِى أَعْمَى

مقطوعَ اللسانِ

واليدين

اتكأتُ على قلبى

وانتظرتُ

أصواتهم

التى تملأ فراغاتى

بالحياةِ

ضحكُوا

من جنونى

وحطَّموا عظامِى

وتركُونى وسطَ

القمامةِ

كخرقةٍ باليةٍ

الليلةُ كان موعِدِى

مع أنقاضِى

تركتُ نَفْسِى

ودخلتُ وسطَ جهنمَ

وقلتُ ها أنا ذا

خَرجَتْ منكوشَة الشعرِ

من لهيبِ النارِ

كوحشٍ كاسرٍ

ونهَشَتْ روحى

أكلتْ حواسِّى

وجلستْ بجوارِى

تبكِى

سألتُها ببلاهةٍ

كيفَ يمكنُكِ

طعن القلبِ الجريحِ

لم تسمعنى

ودخلتْ فى جرُوحِى

ولعقتْ دَمِى

هذه الأرض التى أخرجتنى

والعيون التى لازمتنى

تتفتح أمامى

كشبق

كنارٍ محروقة على الأسفلت

كبلبل برى

صاعدًا نحو الجبال

كنت أرى

ولم يكن أحد سواى

وحين خف وزنى

تلاشيت

رأيت طيوراً لا أعرف أسماءها

فتحزمت

ورفرفت بأجنحتى

لكنى تفاجأت

بأسلاك تجرنى

وتخنقنى

وتلقينى فى البحر

الذى يمشى مع الأمواج

ويعدد على موتى

أين أهربُ
ومن يأخذُنى لأحضانهِ
من يأوينى
وأين عابُر السبيلِ
لعله نسانى

يا سيدَ الأكوان تيقظْ
فهنا يوجُد شخصٌ على شفا الموت
شخصٌ تائهٌ
لا يعلمُ أين هويتُهُ
فبأىِّ ذنبٍ يستكملُ حياتَه
وبأىِّ ذنبٍ تحولُ الأصنامُ المحيطةُ بجسدِهِ
إلى أشباحٍ

أرجوك انتظرْ
ولا تبتعدْ أكثرَ
انتظرْ حتى تطيبَ جروحى
وتُشْفَى من الضجرِ

انتظرْ

لأنى أخافُ من الزحامِ

وأنامُ بعيونى المدفونة

كصليبٍ

غارقٍ فى الظلامِ

يا باذرَ الأرضِ

بالخراب

لا تجعلنى أنبتُ

وسطَ البيوتِ

التى تتنفسُ الهوانَ

أعوُد مرةً أخرى طائراً بلا أجنحةٍ

طائراً مكسورَ الجناح

لا حولَ لى أو قوة

أُهين أو أهانُ

لا فرقَ بين الحالتين

البيوتُ تعجُّ بالبراحِ

ولا أنوارَ خلفَ المسجدِ

تكشِفُ قداستَها

أسمعُ أنينهَا

الصامتَ

أتصنَّتُ على صوتٍ

العصافيرِ

علا الضبابَ

أن يكشف ُخطيئتها

تراودنى

وتعبثُ فى ذاكرتى

لتثبتَ

أنها عاشتْ بعد غيابى

مكتملةً

أتحاشَى صوتَها

وأتمادَى

وأصنعُ من مأساتى

طائرةً ورقيةً

أشدُّ خيطَها

وأنامُ بجوارِ الحائطِ المخروبِ

علَّنى أهربُ من سطْوتها

أينَ دموعِى
وكيف نزفتْ دمائى
الرمقَ الأخير

هاجمونى
وظلوا هناك ينتظرون وصولى
وحينما ظهرتُ جثتى
كشفوا عن وجوهِهمِ المستغيثةِ
وبكوا

سألونى
أين كنتُ
ولماذا أتيتُ
ومن أعاد قسوتِكَ الباغيةَ
إلى الحياةِ

تجاهلتُهم
وركبتُ الباصَ المغادرَ
إلى مجهولٍ لا يعرفُنى

استوقفنى السائقُ
وسألنى
أين هويتُك
نظرتُ فى عيونه الباكية
ونزلتُ

آثار الموت تتراكمُ
على جدرانِ روحى
أمسك معولى
وأغرس أصابعى
فى دمى

أعثرُ عليه
أتحسسه بأطرافى
أنظفُه من الروثِ
وأطيرُ

يشعُّلونُ الأزرق ُبين أصابعى
وأهربُ بحمولتى وسط المالحِ
تتآكل بقاياه فى يدى
ويلمعُ كجوهرةٍ
فأضعُه بينَ رموشِى
وأجدِّف وسطَ الأمواجِ

فى لحظةٍ عابرةٍ
تجفُّ المياه
وأجدُ نفسى وسطَ جبالٍ
وصحارَى قاحلة
أصرخُ
تأخذُنى الطيورُ الجارحةُ
وتطيرُ

تتقاذفنى الريح
وترمينى فى قلبِ النارِ
فيختفِى
ويتلاشَى فى دمِى
كأنه ذكرَى
مهزومة لروحى

هذه البقعُ السوداءُ

هى أملى المستحيلُ

فى البقاءِ

ترفضُ الخروجَ

من قلْبِى

وتذكّرنى بحياتِى الفارغةِ

هذِهِ البقعُ

تأبَى أن تعيشَ

بداخلِى

مستكينةً

فأينَ أذهبُ

هذه البقعُ

التى تضغطُ

على جروحِى

وتعسعس فى خلايا دمى

هى أملِى الباقِى

فى الانتظارِ

اعتدل فى جلستِهِ

ونظر إلى قلبى

أضاءَ بصيرتى

وأمسكَ وجهِى

ملَّس على خدودِى

وأدخلَ أصابعَه بعينى

أخرجَ النِنى

وغسلَ الحدقةَ

ووضعَه مرةً أخرى

بين جفونى

فعلَ كلَّ ذلكَ

دون إحساسى بالظلامِ

كنتُ أرى

أطرافَ أصابعِه تغزلُ جروحِى

وحين أبصرتُه

بكَى متحاشيًا

رؤيةَ دموعِى

وضياعِ بصيرتِى

لماذا تصلبتْ دموعِى
وتجمدتْ كالصخرِ
لماذا قهرتها
فصمتت كبحر

كانَ الأحرَى ألا أتحسرَ
على ضعفهِم
فليس بيدى عصًا سحرية
تنجِيهم من الهزيمة

لماذا اعتقدتُ أنى أسير
داخلَ جدرانِهِ
ولم أقتلْه

حين شعرتُ ببغضِهِ
امتلأتْ روحِى بالحسرةِ
وصرخت

انكتمَ صوتِى

فى حلقومِى

وبحثتُ عن دموعِى

فأغلقَ مجراتِ الدمِ

فى قلبِى

وأنفجر

العروقُ تتجمدُ فى مُقْلَتِى

النبضُ يتلاشَى فى دمِى

أحاولُ البكاءَ

كى تستيقظَ روحِى

وتطلقَ دموعِى

أعاودُ الصراخَ

فيقتربُ كالحيةِ

ويضعُ فى عيونِى كومةِ حجرٍ

ويهربُ إلى عالمِهِ المخفِى

وسط السراب

كنتُ أبحثُ طوالَ العمرِ عن مشهدٍ

يبهجُ روحِي

ويخففُ عن قلِبى

رحيلَه المفاجئ

أتيقظُ كلَّ ثانيةٍ

كى يأخذَنى بأحضانِهِ

ويطلقنى فى الطرقاتِ

لأبحثَ عن نسمةِ

المودةِ التى كانتْ

تنامُ على سريرِى

حين أنسَى رنةَ صوتّه

يعودُ

يمسكُ أصابعِى

وينظُر فى عيونِى

كى أواصلَ الطريق

أتركه وأجرِى

بين الأزقة

هاربًا من عيونِهِ

يبكِى

ويصرخُ

كى لا أفقد صورتَه

أعافرُ

وأحدَّث شعاعَ الشمسِ

وظلالَ البحرِ

كى أواصلَ نجاتِى

فيسخرُ وينتظرُ

على ناصيةِ الحلمِ

ليذكرنى بهزيمتى

أيمكنُنى الدخولُ فى قلبِ اللوحةِ
والاندماجُ بألوانها

أيمكنُنى اجتيازُ مساحتِها الشاسعةِ
والطيرانُ إلى نصفِها
لمعاينة وحدتِى

حينما حدَّثنى وصمتَ قلبى
وضعَ القلمَ بين أصابعِى
وغرسَه فى علبةِ الألوانِ
ورسمَ مدرسةً بفصولٍ واسعةٍ
مملوءة بالتلاميذِ

داسَ على سنِّ القلمِ ليلونَ
شعورَ المدرساتِ
الواقفاتِ وسطَ التلاميذ
يغردن للصباح

جرى قلمُه سريعًا وسطَ البراحِ
ووضعَ على مساحةٍ كبيرةٍ
أوراقَ الشجرِ وبتلاتِ الزهورِ
وتركَ وسطهم ملعبًا للكرةِ

أخذنى وطارَ فوقَ السماءِ
وسألنى عنْ
لونِ السماءِ التى تظللُ هذِهِ الجنةَ
فعلَ كلَّ ذلك حتى يمكننى
التجاوزُ
ونسيانُ جروحِى

أحتاجُ سنةً أخرى كى أنسَى دمائى
وسنةً أخرَى كى أنسَى جروحِى
وسنةً أخرى كى أنسَى بكائى
أحتاجُ إلى عمرٍ قادمٍ كى أُشْفَى منكُم
أحتاجُ ودائمًا ما أحتاجُ
بعدما أخذُوا كلَّ شىءٍ
وجرَّدونى

أحتاجُ إلى ممشًى طويلٍ
ليسَ له آخر
كى أنزفَ كلَّ يومٍ نقطةً
غاليةً
تخففُ حمولِى
وتجعلنى أطيرُ
إلى عالمٍ بلا أسوارٍ
أو السنة تلعقُ دمِى

أحتاج للنور

كى أدخلَ فيه وأنامَ

أحتاجُ لبيتِ

أجلسُ فيه وأتونسُ

أحتاج لامرأتى

تدفئنى

وتدخلُ البهجةَ إلى أحزانِى

أحتاجُ للموتِ والحياةِ

والسيرِ والقذفِ والنومِ

أحتاجُ إليكم جميعًا

كى أعطيَكُم حياتِى

كيفَ واتتكَ الجرأةُ على قتلِ الحبِّ
فى ليلةٍ صافيةٍ
كيفَ هانُوا عليكَ لتغتالَ براءتَهم
وتغفُو فى سلامٍ

أمرُّ اليومَ من قلبى إلى عينيكَ
لأسألك
هل كانوا هنا
ولماذا ضاعُوا
وسطَ الخرابِ

أراهُ الآن بعيدًا
هارِبًا إلى بلادٍ لا تعرفُ
تاريخِى

أتمنى أن يأتِيَ الصباحُ
وهو يحيا فى بيوتٍ غريبةٍ
تنسَى خيباتى

أتمنى رؤيتَه يضحكُ
وينتشِى بالندَى
لكنَّ العالَم زريبة
لا تعرفُ البراءةَ

أتململُ

أبْكِى

أترنحُ

أَقْذفُ كلَّ الذين وضعُوا

بوعاءِ ذاكرتِى كلَّ هذه المآسِى

آخذُ نفسًا من الهواءِ

وأستعيدُ طفولتِى

لمْ يكُنْ أحدٌ هناك

كنتُ وحدِى أملِكُ الدُّنيا

فلماذا جاءَ

وامتلكَ بإرادتِى

كلَّ هذهِ المساحاتِ

يأتينى بالليلِ وبالنهارِ

واليقظةِ والنومِ

يأتينى ليسلبَ مِنْ روحَى البراحَ

ويبقينِى فىمساحةٍ ضيقةٍ

بينَ قيودٍ وسدودٍ

لا أولَ لها ولا آخرَ

أُعَافِرُ طوالَ الليلِ كى أخرجَ من مجالِهِ

وحينَ أخرجُ

أجدُهُ فى انتظارى

يلفُّ خيوطَه العنكبوتيةَ

عَلَى رقبتِى

يلفُّها فى حلقاتٍ ضيقةٍ

كى يخنقنى

أراوغُه لأهربَ من طلَّتِهِ

فيدوسُ علَى عرُوقِي

أجرِى مرتعدًا

هاربًا من شرِّهَ

يَسْبِقنِى ويلقينِى

أَرْضًا

ويدوسُ على رقبتى

كى لا أحلُمَ بالموتِ

لَكَنْمن يدرِى

لعلَّه يأتى معى

تحتَ الترابِ

أرغَبُ فى اكتشافِ

هويتِهِ

ومعرفةِ تاريخِهِ

هذا الطيفُ فى معادلتنا الظالمةِ

يُدْمِى حياتِى

ويفرِمُ مشاعرِى

يقتلُ الباعةَ فى الأسواقِ

يمزِّقُ الجثثَ

يدهسُ العظامَ

على الأسفلتِ

يأتِى دونَ ميعادٍ

فى جنحِ الليلِ

أووضحِ النهارِ

أهربُ من سواده

وأحلّقُ

وسطَ الحدائقِ

وفوقَ المياه

أرمقُ الأسماكَ

وأشمُّ الزهورَ

فيمسكُنِى بقبضتِهِ لأتيقظَ

أنظُرُ فى عيونِهِ

يلْمِسُنِى بقبضتِهِ

وأصرخُ

طالبًا النجاةَ

وقفَ الصبىُّ لدقيقةٍ

يحاولُ مخاصمةَ الموتِ

أَبَى أن يستحيلَ ويدخلَ فى زوبعةِ الحياةِ

بكَى وقالَ لنفسه

نَعَم أمى سافرةٌ

والناسُ جميعًا تعرف موطنها

وينظرون إلىَّ بتأففٍ

ويقولون

هذا ابنُ الخاطيةِ

حتى أنتَ

والذى كنت يومًا زوجَها

حتى أصدقاؤك

الذين كانوا يعرفونها

حين يرونني

ينكسرون

بعيونهم

كى لا أراهم

ويتنحنحون فى حياءٍ

ويقولون

لماذا ترفع رأسك يا ديوس

أترنحُ وأقذفُ الزجاجَ

ببقايا أسنانى

أُلاطِمُ الموجَ وأهربُ

من ضحكتَكَ

الغادرةَ

حاضِرْ هى أَقصى ما لدىَّ
كى أعطيَه لَكُم
نَعْمْ حين تأتِى سيرتُها
وأراها تتواصلُ مع الآخرين
يصيبُنى الفزعُ
وأتوه فى الظلامِ
أَبْحَثُ عن ظلّها
وهى تقاوِمُ
المرورَ فى أنهارِى

أشُدُّها
أجرُّها
أصرخُ فى وجهِها المدهوشِ
أرغبُ فى ركوعِها
كدميةٍ مهزومةٍ
تصارِعُ الموتَ فى أنقاضى

يتلاشَىَ صوتُها
وتأخذُنِى إلى جبالها الخاويةِ

تجلِسُ على الرمالِ
وتشُقُّ صدرَهَا
كى أنسَى
مجونَها

تَدْمَعُ عيونها
فتتفتِحُ فى قلبى
ثغرةٌ
وتدخلُ مستغيثة
ليحترقَ ظلها

أتدحرجُ عَلَى الأَرْضِ

وأَقعُ

ولا أدرِى أينَ موقعُ الخيالِ الذى

ينقذُنى

أتوُه بينَ الحقيقةِ

وبين آمالى

بين خنجرِى وبين سلامِى

أتوُه

ولا أجدُ موقعَ المُوسيقَى

التى تُشْفِى جرُوحِى

أجدُ نفسِى مطوَّقًا

ملفوفًا بالخبايا والحبالِ

أشعُرُ بأننى مهانٌ

وأحتاج لصديقٍ يذكّرنى بطيفها

أحتاج إلى امرأةٍ

تتحسَّرُ على ضَعْفِي وتقولُ

لماذا غادرتَ

وتركت جُرحَكَ

مفتوحًا على بابها

أجرِى وسطَ الكائناتِ
أدخلُ من جذعِ شجرةٍ
إلى شعاعِ قمرٍ
وأضيعُ وسطَالضياءِ

أعودُ إلى أجنِةِ البقرِ
وأذوبُ وسطَ البحارِ
أتدحرجُ وأجرِى وأبرطِعُ
وأنتشرُ داخلَ حبةِ طماطم
وأحطُّ
وسطَ المياهِ
أصعدُ إلى ثمرةِ مانجُو
فيقطفونى
وينقلونى إلى ثلاجةٍ جامدةٍ

توقِظُنى زوجتى
وتسألنى عن طبقِ الفاكهةِ
فأعاودُ البحثَ عن نَفْسِى
وسطَ أكياسِ الخضارِ

أدخلُ بئر أعماقى

وأذوبُ عشقًا فى دروبِى

أتوه

والتِقِى بنقيضِى

فيصرخُ فى وجهى

قائلاً

لا شىءَ يشفينى إلا موتك

أغوصُ فى بحرِ الأسَى

فيعزينى

ويهربُ من دَمِى

إلى دروبٍ غائرةٍ

أنتظرُ لحظةً

أمرٌّ من بابِهِ إلى دواماتٍ

لا تعرفُنى

يخلعُنى لحمى

ويفرمُ عظامى

ليدخلَ المالح إلى أحشائِى

ويروينى

يأخذُنى وسط شطآنكَ

لأتدفأ بنارِكَ

يدخل شظاياه إلى روحِى

لأُدْفَن فى ظلالكَ

الذاكرة

مرسى
بحيرةٌ خاويةٌ
تنامُ فيها الحياةُ والموتُ
وتسخرُ من وجودِى

حينَ أنامُ
تقذفُنى روحِى
فى همْسٍ
فأجلسُ على شطآنِها
وأقابلُ
خصومى وأحبَّتى
نأكلُ ونلعبُ
نتشاجرُ
ونتلاشَى فى السكونِ

للذاكرةِ صوتٌ
كصوتِ الندى
يلقى بهمسُة على الأكوانِ
لنندمجَ وننسَى ماضينا
وننطلقُ
ونملأُ أعماقَنا
بالفراغِ

وعندما أنسى رائحة صورها
تضاحكنى خلاياها الناعمة
وتقذفُنى بأثيرِها
فأطيرُمجروحًا
داخلَ خيطِها المشتعلِ
أطيرُ بسرعةٍ مهولةٍ
حتى أتلاشَى
وأصبحُ نقطةً فى بحرِها

أعودُ إلى أمواجِها

الدافئة

ألتقِى بأسماكِها

وتحملُنى بقلبها

لنسبحَ فى نورها

تقذفُنى بأعماقِ البحيرةِ

لأنسَى وجوهَكُم

أنساكُم وأغرقُ

فى الدموعِ

التى تحولتْ مثل ذاكرتى

إلى بحيرةٍ ساكنةٍ

حين أتذكَّرُ حُزْنِى
وأهربُ من أحلاِمى
أتيقظُ على صوتها

أتلفتُ حولِى
أدخلُ الحمامَ
وأعودُ مرةً أخرَى
لأستقبلَ الموتَ على سريرِى
وأعودُ إلى الحياة

هم يسرقُون الحبَّ من وادِى الرمادِ

هم يعشقونَ القلبَ

أخذوا عيونِى وجرُّونى وسطَ الحدائقِ

أخذوا فؤادِى وانتشروا

فوقَ القرنفلِ

أتَرَانى

لم يعد أحدٌ معِى

ولا معك

ولم يعدْ حتى الطريق

هم يخدعونَ الموتَ

ويبشرون بملائكةٍ

تحطم ُقلوبَ العذارَى

أتَرَانى

ليتهم ما جاءُوا

أو عُدْنا

أو اجتْزنَا هذا المحيطَ

هم يأخذون الموتَ

ويسبقُونَ الريحَ

ويسرقُونَ العينَ

ويشربُونَ الغلَّ

ويقطعُونَ القلبَ

أكانوا هنا

أجاءوا من أعلى السُّحب

أمَشَوْا إليكَ وقبلوكَ

ألم تخفْ

أرأيتَ قبضتَهم

وتشممتَ همَّتهم

أترانى

أم تَرى جسدًا تمزقَ

أترانى

أم ترى قلبًا تفتقَ

أترانى

أم أن عينَك ضاعت فى الثَّرى

يا قاتلى

لا تقتربْ من رموشِى

اترك جفونِى

ودموعِى

يا قاتلى

لا ترفعِ الأنقاضَ عنّى

اتركنى هنا

وسطَ النفاياتِ العابرةِ

لا تضعْ سكينك فى قلبى

ولا تشربْ دمِى

يا قاتلى

لا أنا جئتُ

ولا هم كانوا هنا

فلماذا تأخذُنا إليكَ

وتنتهكُ الخرابَ

اتركنا نمد أيدينا

ونغرِسُها فى السرابِ

علَّنا نعثرُ على جذرِ

المحبةِ

فندخل بين فتلاتِهِ

ونذوبُ

وقتَها حتى إذا جاءوا

وحضرتَ معهم

فلن ترانى

لأن هذِهِ الجذورَ

المدفونةَ

لا يشعرُ بها إلا التراب

ما هذِهِ المدنُ التى تركضُ هناك

وتركضُ هنا

وتغوصُ فى الشوارِعِ

ما هذِهِ الأرضُ الواسعةُ

التى لا تراها عينى

ويحرقُها السرابُ

ما هذِهِ البهجةُ التى تلازمُنا

فتشغلُنا وتصرفُنا عن واقعِنا

وتعطينا أمل

وتعطينا سنابلَ

عيونُ العجزِ تؤخذُنى وتعطينى

وتندهشُ منّى

تدفئنى وتشفينى

فهل أنسَى

رنينَ القلبِ

حين يفتتح ُالمزادُ

وهل أَنْسَى نسيمَ البردِ

فى وهجِ الرمادِ

حبيبى أينَ الطريقُ

إلى بيتكِ المدهوسِ

فى جدارِى

وأينَ رموشُ طالتِك

الحالمة بانهيارِى

اتركْهُم يأخذون من جثتِكَ ما عليكَ
اتركْهُم ينهشون قلبَكَ
كى يأخذوا ما عندهم لديكَ

لا تبتئسْ من استمرارِهم فى الوخز
لا تحزنْ
لأنهم سيعاودون عضَّكَ
حتى تصبحَ جثتُك داميةً
كقلبِكَ

اتركْهُم كى يستمتعوا
وتفرغ لمراقبةِ دموعِكَ
واصلْ عملَكَ
واستمتعْ بزقزقةِ العصافيرِ
وترانيمِ البغايا

هم يأخذون ويشربون
من شراايينِكَ
حتى يعطوكَ الحياةَ

اتركْهُم وتفرغْ لسلامِكَ
حتى يستمر ًقبطانك
اتركْهُم بسماحةِ قلبٍ
بلا انتظارٍ
أو عتابٍ أو عرفانٍ

اتركْهُم وأشفق عليهم
من لونِ السماءِ
وواصلْ بكاءَكَ
علَّهم يشفون آلامهم
من لعقِ دمِكِ

ما الذى دفعنى إلى ركوبِ البحرِ
وأنزلَ فى قلبى كلَّ هذِهِ الوحشةِ

لا شىءَ سوى انتظارِى
حبلَ المشنقةِ

أكلُّ هذا البغضِ يروينى
أهذا الجنونُ يُشْفِى آلامِى

أكلُّ هذَا الضجرِ
يدخلُنى فيها
لأراها مكتملةً بغير نقصانٍ

حين أقابلُها
يجرون بداخلى ويصرخُون
ويسرقُون النومَ من عينى
فتندهشَ من وجودِى وتسألنى
من أتى بِكَ إلى هُنا

لا أدرِى
ولا أتذكرُ
لكنهم طعنونى طعنةً نافذةً
وسال دمِى بين شقوقِ الأرضِ
ولا أحدَ كان يرافقُنى
سوى صرخاتِهم :بابا .. بابا

لماذا ترتعبُ إذن
وأىُّ موجٍ للنهر قذفَ
بك لّهذِهِ القسوةِ إلى قلِبكَ

أرجوكَ انتظرْ
ففوقَ هذِهِ المراكبِ نسورٌ وغربانٌ
تقفُ عاريةً
كى تلتَهم خصيْتَكَ

لا تكابرْ
فالجميعُ يعرفُ أنهم خانُوك
فأىُّ مستقبلٍ ينبتُفى
أرضِ الخيانةِ

كانوا ثلاثة يغرسون خناجِرَهُم فى قلبى
ويصرخُون
ويطعنون قلْبى
كى ينزفَ حزنُهم
ويسيلَ إلى جوارِى
ويملأً الأرض َخرابًا

أرتعشُ بكلّ جوارحِى
قدمِى تتفككُ
يداى تتجلطُ
وأنا ما زلت أقفُ بين الحُلْمِ واليقظةِ
أسيرًا وحائرًا
بين عيونٍ لا تعرفُ الحبَ
وعيونٍ تموتُ من الحسرةِ

أدمنتُ الهزيمةَ
فهتكُوا عرضى
ووقفوا وسطَ الشارِعِ ينادون على المارةِ
وعَلَى السيداتِ الرشيقاتِ

ويصرخُون فى عُهرِ
من أنتَ

أنا شخصٌ تائهٌ أمرُّ فى شوارِعِكُم
وأبغِى منامةً
فهل تستكثرون على جسدِى المنهكِ
النومَ بحجرةٍ خاويةٍ
لا يوجدُ فيها حزنٌ أو ضجيجٌ

أرجوكَ
انسَ وجوهَهَم واستمر فى غيابك
عل السماءَ أن ترحمَكَ
وترسِلَ عابرِى السبيلِ ليغيثوكَ
أصمت
حتى لا يتجمعوا عليك
ويلعقوا دمَكَ

واصلْ
حتى تصلَ محطةَ القطارِ
التى كنتَ تقفَ عليها
تراقِبُ عيونَ المارةِ
وهى تبتسمُ فى وجهِكَ
المسكونِ بالخوفِ

قاومْ
حتى لا يعاودوا طعنكَ
وأنتَ ملقًى غارقٌ فى دمِكَ

تيقَّظْ
ولا تتمادَ كاللصِّ
الذى يسرقُ من عيونِهِم البراءةَ
سد ثقوبَ دمائهم المفتوحة
واحتوِيهم
علا عابَر السبيلِ
أن يشفقَ عليكَ
وينتشلَهم مِنَالضياعِ

لا شيءَ هنا سوى الموتِ
فلماذا تنتظرُ خلفَ البابِ
وتجلسُ كالجيفةَ تسمعُ أصواتهم
وهم يلوِّحون بأياديهم
كي تهربَ
من المجهولِ
الذي تبغِي اكتشافَه

المجهولُ يملأُ الطرقاتِ
ويباعُ في الدكاكين
تتنفسُه مع الدخانِ
وفي كوبِ الشايِ
تحسُّه في لمسةِ يديها
وفي القيودِ التي تنام على فَخْذِيها
المجهولُ مدفونٌ في أعماقِكَ

ويحاصِرُكَ

ويجرحُ كبرياءكَ

ويذكُركَ

بخرابِ الدنيا من حولِكَ

المجهولُ هنا

ولم يعدْ هنا سِواه

فإما أن تتعايشَ معه

أو تموتَ

مرةً أخرى تعاودُنى النوبةُ
أفتّشُ فى الماضِى القريبِ
من يومِى المنصرمِ
علَّنى أعثرُ على رحيقِ الحياةِ

يعاودُنى الضجرُ
وتتفتح ثغرةٌ فى جدارِى
أجاهِدُ بحذرٍ
لغلقِها

الظلامُ يتسرسب إُلى جُرْحِى
أشعرُ بالثقلِ
تعاودُنى الرعشةُ
وأتحولُ إلى شبحٍ
يشبه ظلّى

تعاودُنى النوبةُ وتأخُذُ سلامى

تعطيه لعوالمَ ميتةٍ

وتدفنُه فى جفونِى

تكشفُنى أمامَ صراعاتِى

وتتلاشَى

فى أعماقِى

كرصاصةٍ

وتجعلُنى أخطّطُ للموتِ

كى لا أتذكرَ

جرحه الموشُوم

فى روحِى

لو تذكرتُ ومضته

قبل مرورِه فى شراييني

لو عاينتُ اللحظةَ

التى سبقتْ استسلامى

لو نمتُ بحضنِهِ وبكيتُ

لما خرجتُ عن

القضبان

وانتهيت

كنتُ أرغَبُ فى ملاطفِة شعرِها
أهدابِها
حين دخلتْ قلْبى
ونامتْ

لطمتْنى وجلستْ مستكينةً
رافضةً رحيقَ الأمانِ
الذى ضخختُه فى ثنايا قلبِها

وبَّختنى
وعايرتْنى برائحةِ الطريقِ
الذى عشتُ بين جنباتِه سنواتٍ طويلةً

سألتنى
لماذا توقفتَ عن السيرِ
ثم عاودتَ المرورَ
كالحيةِ

تجاهلتُ صوتَها

وشعرتُ أنى طائرٌ

يبحثُ وسطَ جزيرتِها

عن مدفنِهِ

غرستْ أصابعَها

الملتهبةَ

فى جُرْحِى

فاحترقتْ وماتتْ

هويتى!

لم يؤذِنِى أحدٌ
قلْبى بحيرة
ونهودِى بوتيكاتُ الصباحِ
نهارِى بنفسجٌ
ونورِى ظلامٌ

قلبى ملىءٌ بالغبار
ورموشِى عنكبوتٌ
يعششُ على أحزانِى

حياتِى خاويةٌ
وبيوتكُم عامرةٌ
لسانِى عاجزٌ
وصباحِى كمسائِى

اقتلونى
أحرقونى
فلم يعدْ صوتى صالحًا
للبكاءِ

حين جاءتْ عينى فى عينِها
بصقتْ على وجهِى
وقالت:
مَنْ أنتَ أيها المشَّوهُ

نظرتْ
إلى أجنحتى الضعيفةِ
وانهارت على عُمْرِها
المسروقِ

حين شعرتْ بدموعِها
تنزف وتملأُ الأرضَ
زهور
غرقت فى بئرها المسحور
وصرختْ
لا أعرفُ
ولكنِّى مطعونٌ
وليسَ هناك مبررٌ
لتذكيرِى بالهزيمةِ

أطيرُ مجروحًا من فرعٍ يافعٍ

إلى شجرةٍ معمرةٍ

وحقلٍ واسعٍ

إلى براحٍمسكونٍ

بوحدتِى

وخالٍ من الدمِ

والخفافيشِ

أطيرُ غيرَ عابئٍ

بصوتِها المحزون

أطيرُ بلا أملٍ

فى وداعِقلْبِها

المغبونِ

كنتُ فى واحةٍ واسعةٍ
أسيرُ فى براحٍ
مفتوحٍ عَلَى سمائِى
وفجأة شعرتُ
بأقدامٍ تهرسُ
ذيلِى المختفِى فى
بطِنى

جريتُ بين حباتِ
الرمالِ
فحملَنى جرارٌ رهيبٌ
وسارَ بينَ البيوتِ
كى يعلنَ هجرتِى
ألقانِى عَلَى الأَسفلتِ
دونَ رحمةٍ
أو شعورٍ بالألمِ

سمعتُ أصواتاًغاضبة ًتتشاجرُ

على قلبى

وتتمنَّى موتِى

فهربتُ

تجاهلوا أنيننى

وأمسكوا بخناقِ

بعضِهم

وشاهدتُ

حزنَهم يتسرسبُ على الأرضِ

ويعيقنى عن تحريكِ أقدامِى

صرخُوا بروحى

لا تبعدى عن ظلّنا

راقبتُ شفاهَهَم ورذَاذَ

أنوفِهم

فتجمَد لسانِى

سخروا من انهزامى

فركعتُ وانحنيتُ

مرعوبةً

من منظرِ المدينةِ

التى

حولتنى إلى دميةٍ عابرةٍ

رفعوا الكُرْسِى

العالقَ بمؤخرتِى

وألقونى على سيارةٍ قديمةٍ

لتنقلنى إلى المقابرِ

التى نمتُ بين

صبَّارها

سعيدةً بنجاتِى

كنتُ أجلِسُ فى ميكروباص مملوءٍ بالفتياتِ والرجالِ
ملابسُهُم نظيفةٌ
لكنها ممزقةٌ
يرفعون على آذانهم تليفوناتٍ حديثًة
ويتحدثون إلى أشباحٍ

كنتُ بوجهين
أحدهما يجلسُ فى العربةِ
وآخر يراقبهم من خلفِ شباكِ الباصِ
نصفى الجالسُ معهم مغمضُ العينين
لا يسمعُ أصواتَهم
بينما نصفى الطائرُ بجوارِ الباصِ
يَرَى التفاصيلَالواضحةَ
أحدهما كان يضحَكُ بصوتٍ عالٍ
وبنبراتٍ مبهجةٍ
بينما يهمسُرجلٌ بجوارِهِ كالكلبِ

أتابعُ نصِفى الجالسَ بجوارهم
وأقولُ
كيفَ يمِكنُ قتلك أيها الجريحُ

فى غفلةٍ منى طارَ نصفى الميتُ
وترك الكرسِيَّ
رفرفَ بأجنحتِهِ حولَ الباصِ
واندمجَ مع نصفى الآخر
الذى يَرَى وجوهَ الناسِ ويغنّى

تحولَ إلى كائنٍ آخر
لا أعرفُه
كائنٍ يبكِى
ويرسِمُ دوائرَ مفتوحةً
لسماءٍ
لا أعرفُها

دخلَ علينا شخُصُ يضعُ على عينِهِ لاصقًا أسودَ

كى لا يظهِرَ وجهَه

حدَّثها خلسةً

كأنه يعرفُها

فطالبتُها بوضعِ نظارتِها

فوقَ عينها

وأمرته بالكفّ

عن ملاطفِتها

وبَّختنى

وتركنا الحفلةَ

فسار وراءنا

كأنه يرغب فى

سرقِةِ مصوغاتها

شعرتُ بترددها

فى الرحيلِ

فأسرعتُ من خطواتى

ونهرتُها

كى تنفد بجلدِها
وتبحث عن عظامى
الميتة

رِاوغتنى
وتحملتْ ندالتى
وسارتْ ورائِى
حتى باب شقتِنا
التى لا أعرفُ مكانها

خلعتْ ملابسَها الثقيلة
وعاشرتنى بجنونٍ
غرقتُ فى عيونِها الباكيةِ
فوجدتُها مهجورةً
ترغبُ
فى الخلاصِ من حياتِى

وقفَ رجالٌ عاجزون
على الشطِّ يتباكتون
وينظرون بحقدٍ إلى ملامحهن َالغريبةِ
ويبحلقونَ فى
الأساور التى تملأُ
أنوفهن
وحين حطتْ مركبتُهن على المرسَى
قيد كلُّ رجلٍ امرأةً فى ذيلِهِ
والتهمَ نشوتَها

جريتُ إلى حضنِ إحداهن
أسألُها عن سرِّ بشرتِها الدافئةِ
نظرتْ بجنونٍ إلى قلبى
وحملتْنِى داخلَ عيونِها
وداستْ بجسدِى على الحائطِ
فانفتحَ
ودخلْنا عالمًا لا يوجدُ فيه إلا النورُ

تركتْنى

وعادتْمن طاقِةِ الجدارِ

أغلقتْ دولابَ الحائطِ

على حيرتِى

وتركتْنى أعبثُ

فى أطيافهن َالعابرة

عشتُ بينهن سنينَ

لا أدرِى أىُّ امرأةٍ منهن

تعشقُ روحى

أدخلُ كلَّ ليلةٍ حجرةَ إحداهِن

لأتعرفَ على رحيقِ عطرِها

حتى عادت ْامرأتى

ودهست جروحى

نقلتْنى إلى مخبأ ملئ بالحجراتٍ المغلقةٍ

وأمرتْنى بعدم النظرِ

إلى السقفِ المنخفضِ

حتى لا تنزفَ دموعى

تماديتُ متجاهلاً حكمتَها
وهتكتُ سرَّها
فدخلَ دخانُها إلى قلبى
وجمد دمى

طرتُ محروقًا بلا قلبٍ
إلى فضاءٍ يعجُّ
بلهيبٍ أحمرَ
نظرتُ إلى النهرِ
والمراكبِ الراحلةِ
وبكيتُ على ذكرَى
امرأةٍ مسحورةٍ
عشقتْنى
وحرَّرتنى
وتركتْنى وحيدًا
بلا أجنحةٍ

يخرجُ الشريرُ الكامنُ

بجوارحِى

يملأُ وجهِى

ويدفعُنى لقذفِ الآخرين

بالبذاءةِ

يسعدُ بالنصرِ على طيبتى

ويضحكُ من ضعْفِى

ويعايرُنى

بأننى كنت ُشريكَهَ

حين قررتُ الهرب َمن طيفِهِ

أَخْرَجَ كلَّ ما فى جعبتِهِ من بُصاقٍ

وجرحَ كبريائى

ألقى بكرامتِى فى الوحلِ

وحاول قتلى بخنجره

استعاد وجوهَأعدائى

قائلاً

سيفتكون بروحِكَ

ويعرونكَ

ويضعون أصابِعَهم

فى مؤخرتِكَ

وينتهكوا فتحتك

استعادَ مشهدَ هزيمتى

والجموعُ تهتفُ وسطَ الحوارى

وتسخرُ من هوانِى

تجاهلتُ نبراتِ أصواتِهم

المفزوعة

وانتحرتُ

كلما ملَّستُ على ظهرِ الحقيقةِ

اقتربَ

ودعانى إلى البيتِ

لاقتسامِ السمِّ

أدعوه إلى الخروجِ

أملأه برغبةٍ فى الحياةِ

والحلمِ بطوقِ النجاةِ

يتجاهلُنى

ويبتعُد

ويردد مرثيته الحزينةَ

تعاودُنى الرغبةُ فى فتحِ الجرحِ

وتجاوزِ الألمِ

تعاودُنى وأنا أكتمُ الصرخاتِ

تعاودُنى وأنا عليلُ الروحِ

يتجاهلُنى ويقذفُنى بظلاله

خارج إطاراتِ الكونِ

ويلقينى فى الحياةِ

أصرخُ

كى يعودَ

ويبقينى

دونَ أحلامٍ أو رغباتٍ

أو وجودٍ

تحركْ

أيها الصيادُ العجوزُ

انطلقْ فوقَ الرمالِ

وخط بأقدامِكَ

وعصاك

طريقَها الخاوِى

اهربْ

كى تجذبَ النشوةَ

روحِكَ

أفجَعْها

كى تطيرَ

فوقَ البحورِ والسماءِ

ابتهجْ

وقاوِمْ

تحررْ من حمول الأرضِ

وواجِهْ مصيرَك

المخزِى

عيونُ الذين يعرفونى
ويخشون أحزانِى
تأتِى
وتختبرُ قدرتِى
على الموتِ
صورُ الذين أحبهم
ويخلصون لنجاتى
تباغتُنى
لتجعل منى خرفةً باهتةً
هذه الصورُ
الغارقةُ فى الذكرَى
تأتِى لتذكيرِى
بأنَّ الحياةَ لا تستحقُ
هذهِ المأساةَ

فى عيونِى تسرقُ الأشجارُ شمْسِى
فى خدودِى تثمرُ الأزهارُ حبًا
فى رموشِى تفتحُ الأنهارُ شقًا
فى لسانِى يهربُ الخوفُ بعيدًا
فى كفوفِى ينهشُ الغيلانُ روحِى
فى كهوفِى يغرزُ الأحبارُ أسمِى
فى سدودى تغرق الأرضُ بحوًر
فى نهارِى يصرخُ الأذانُ عصرًا
فى شبابِى يرفعُ الأسباطُ ظلّى
فى عزائِى يرقصُ الأولادُ بهجةً
فى سمائِى يهجرَ القمرَ السعيدُ
فى بكائِى ينزفُ الطيرُ وحيدًا

كنت معلق فى سارى سفينة

بحبل

كأنه مشنقة

يترنح جسدى على جوانبها

فيتساقط الرزاز على وجهى

كأنه شظايا الموت

ينزل القبطان بالحبل المشدود على رقبتى

فتلامس أقدامى المياه

التى تنشق أمام مقدمة

السفينة الصامتة

يشد حبله المفتول بدمى

فيلامس جسدى الهلب

بأعلى السفينة

يرخيه قليلاً ليربط

ذراعى وقدمى

بالحبال المفكوكة

عن رقبتى

يقترب بجثتى من المياه

ويشد أطرافى

فتتمزق ضلوعى

فينظر إلى وجهى المتألم

ويضحك من حسرتى

يرفعنى مرة أخرى أعلى السفينة

ويعايرنى بضعفى

ويتشفى فى انهيار قوتى

يكشف عن سواد قلبه

ويشجنى بمشرطه

وعندما يتصلب جسدى

أمام رأسه

أصرخ

وأمزق قيوده

واملئ فمى بالبصاق

وألقيه

على وجهة المنتفخ

اقتربْ من روحها

من شعاعِ عينيها

اشعرْ برحيقِها وهى تقذفُه بقلبِك

كى تُشْفِى آلامُكَ

أنتَ الآنَ هنا

فضعْ يديكَ على كتفِها

واهرسْ ماضيكَ

كذِّبْه

أطلقْ هذَا الشبحَ

وادفنْه بعيدًا

علِّمْه كيفيةَ تقديمِ السعادةِ

درِّبْه على مدواةِ الحسرةِ

تجاهلْه وانطلقْ

استكملْ خطواتِكَ

ولا تنظرْ إلى الوراءِ

انقِلْ قدميكَ

لتتجوَ من الأكاذيبِ

ها هو جسدُكَ يتحولُ إلى طيفٍ

ويطيرُ

أدخِلْ شعاعَها برفقٍ داخلَ شرايينكَ

دفِّئها كى تنامَ دونَ ارتعاشٍ

خففْ حمولتَها

كى تشعرَ أنها ريشةٌ

وأنت طائرُها الرقيقُ

أمشى واقفًا فى الطرق المقفرة
يعوقنى قلبى المحطم عن السير والكلام
أتململ وأبكى
وأنظر للسماء التى تختفى
وراء بقع الدم الشبيهه
بظلام النجوم
أسال الأبواب
أين رحلوا
ولماذا دهستهم الغيوم
فى ليل الشتاء
كانوا يمطروننى بالربيع
ويمدون قلبى بالرحيق
لكنهم تركونى
أسير الحوائط
التى ترتفع كل يوم حول جسدى
وتفقدنى هويتى
يذهب الغمام بعيدًا
عن عيونى
فيعودون

أراقب شعاع الشمس

الذى يلمع على خدودهم

يبتهجون

ويلعبون الكرة

وسط المراعى

وعرق البهجة

يتصبب من جباههم

يستريحون

يتسامرون

يفتح أحدهم حقيبته

يخرج طعامه

ويتقاسمونه كأنه شهد

الحدائق

الطائرات تحلق فوق رأسى

يهرب ظلى خلف الجدار المتهدم

يبتعدون داخل اللوحة

كأنهم نخيل أسود

وسط سرابها المهجور

الدانات تحرق ملابسهم

أسنانهم تتناثر على الأرض

أجرى متفاديًا صراخهم

أحتضن عيونهم

وأضعها فى جيوبى

وأنتظر

يفاجئنى الجدار

بالصمت

فأستدعى صور أصغرهم

وأضمها إلى صدرى

فيركلنى بدموعه

ويختفى من اللوحة

ويتركنى نزيل العجز

والموت المؤجل

هذا الجمود الذى يخرق الصمت
يقف عاجزًا أمام صوت العصافير
الباكيه على ضلفى شباكى
أبحث فى عروقى
عن همس مشاعرى
عن صوت النساء الضاحكات
فى الأسواق
عن بهجة الأطفال
فى الفسحة المدرسية
أفتش فى خلايا دمى
عن شئ يذكرنى
بوجوه الفلاحين
المشقوقة بالأمل
أنبش فى أحلامي
عن صوت المكن
فى المصانع
عن همس العمال
الساخرين من أقدارهم
صوت التلفاز المزعج

يفاجئنى بالصراخ

أتجه بعيونى ناحية الشاشة

جثث القتلى تتراكم

على اسفلت الشوارع

اشلاء تجرفها الكراكات

وبيوت مهدمة

صور حيوانات نافقة

لعب أطفال مدهوسة

وسط الرصاص

والنفايات العالقة

أغلق الصوت

وأنظر إلى الحائط

التى تملئه

صور أخوة وأبناء

كانوا هنا

أرمق ضحكة أحدهم

أتلمس بهجته

ولون عيونه الحالمة

أنادى فى الفراغ

على ظله المفقود

فيناولنى عصفورى

زهرة الملائكة

ويغنى للحزن

الذى فجر دمى

الوراق

يناير – ديسمبر2016

—————————


لا تعاتبيني في الصباح
لا تعانقيني في الليل
لا تجعلي خدي غلاما
أو تفزعيني بالصراخ
أطلقيني
هدهديني
وعاتبي قلبي الصغير
دثريني
وانشري في روحي
لحن سلام
دار الطاو